التنجيم

(عَودٌ على ما سبق)

تقدم لنا في الجزء الخامس كلامٌ في حقيقة التنجيم واصلهِ وما بلغ من الانتشار عند اشهر امم الارض وارسخها قدماً في الحضارة والعلم حتى كان من العلوم التي لا يُستغنى عنها في معرفة حقائق الكائنات واسرار الحوادث بل العلم الذي لا يُضمَن مستقبل الامم الا بهِ ولا تثبت قاعدة ملكٍ بدونهِ . وقد استقصى اربابهُ جميع حوادث الكون واطوار البشر وافعالهم ومصايرهم فجعلوا لكلٍّ منها حكماً منوطاً باحد الكواكب وبسطوا جميع ذلك في كتب هذا الفنّ وقيدوا كل حكمٍ بمرجعهِ بحيث لم يكن على من اراد الاطّلاع على شيء من تلك المغيَّبات الا ان يتفقد ما نُصّ عليهِ في تلك الكتب فيستخرج نبأهُ عن قاعدةٍ مقرَّرة وحكمٍ مرسوم

واما مرجع تلك الاحكام فهو السيارات السبع والبروج الاثنا عشر والسيارات المذكورة هي في عرفهم الشمس والقمر والزهرة والمشتري والمرّيخ وعُطارد وزُحَل وكل واحدٍ من هذه السيّارات مخصوصٌ بعضوٍ من اعضاء الانسان فالشمس للرأس والقمر لليد اليمنى والزهرة لليد اليسرى والمشتري للمعدة والمرّيخ لما دون ذلك وعطارد للرجل اليمنى وزحل للرجل اليُسرى . وكذلك صور البروج فالحمل منها للرأس والثور للعنق والتوأمان لليدين والكتفين والسرطان للصدر والقلب والاسد للمعدة والعذراء للجوف والميزان للكليتين والعقرب لما دون ذلك والرامي للفخذين والجدي للركبتين

والدلو للساقين والحوتان للقدمين

واما في غير ذلك من متعلقات الانسان فزُحل للحياة وتبدُّل الاحوال والعلوم والابنية والمشتري للسؤدد والاماني والمال والعقار والمرّيخ للحرب والسجن والزواج والضغائن والشمس للامل والسعادة والكسب والميراث والزهرة للمودّة والعشق وعطارد للامراض والديون والتجارة والمخاوف والقمر للجراحات والاحلام والسرقات

ثم ان لكلٍّ من هذه الاجرام يوماً من الاسبوع وهو يتسلّط في ذلك اليوم على لونٍ من الالوان او معدنٍ من المعادن وهلمّ جرًّا . فللشمس الاحد وللقمر الاثنان وللمرّيخ الثلاثاء ولعطارد الاربعاء وللمشتري الخميس وللزهرة الجمعة ولزحل السبت . ثم للشمس من الالوان الاصفر وللقمر الابيض وللزهرة الاخضر وللمرّيخ الاحمر وللمشتري الازرق ولزحل الاسود ولعطارد ما فوق اللون الواحد وفي المعادن الشمس تتسلط على الذهب والقمر على الفضة والزهرة على القصدير والمرّيخ على الحديد والمشتري على الصفُر وزُحل على الرصاص وعطارد على الزئبق

واما الصفات الخاصّة بكلٍّ من هذه الاجرام فانهم يصفون الشمس بالجودة وزحل بالغمّ والعبوسة والبرد والمشتري بالحرارة والارتياح والمرّيخ بالحدّة والزهرة بالخصب والاريحية وعطارد بالتقلب والتلون والقمر بالوسواس

واما طبائع صور البروج فالحمل منها والاسد والرامي حارّة يابسة والثور والعذراء والجدي باردة يابسة والتوأمان والميزان والدلو حارّة رطبة والسرطان والعقرب والحوتان باردة رطبة

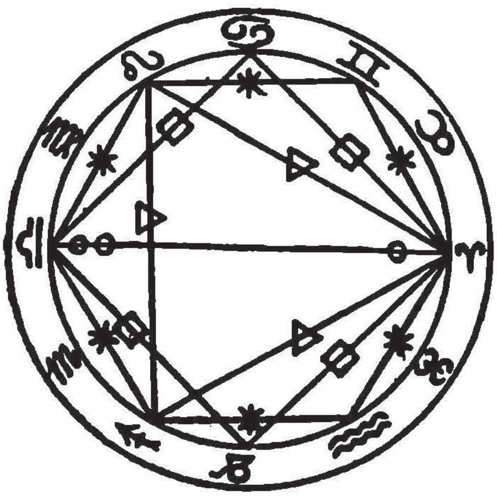
اما تخصيص كل واحدٍ من السيارة بيومٍ من ايام الاسبوع فيقال ان اول من وضعهُ المصريون وهذا التقسيم مبنيٌّ على التنجيم لا على هيئة الافلاك والا لجرى ترتيب الايام على ترتيب السيارة فجُعل الاول للقمر والثاني لعطارد والذي يليهِ للزهرة ثم للشمس ثم للمريخ ثم للمشتري ثم لزحل على ما هو ترتيبهم في هذه الاجرام . وذكر ديوكاسيوس ان المصريين كانوا يقسمون اليوم اربعة اقسام (والصواب ثلاثة) يتولى كل قسم منها واحدٌ من السيارة على ترتيبها فسُمي كل يوم باسم السيار الذي يتولى القسم الاول منهُ بحيث يتألف من ذلك الشكل الذي تراهُ



فانه مؤلف من سبع زوايا رسم على قمة كل واحدةٍ منها رمز واحدٍ من السيارة وبجانبهِ اسم اليوم الذي يخصهُ واولها الشمس في اسفل الشكل ولها يوم الاحد تتولى ثلثهُ ثم تنوب عنها الزهرة ثم عطارد . ثم يدخل يوم الاثنين وهو للقمر ويخلفهُ زُحل ثم المشتري . ثم يدخل يوم الثلاثآء وهو للمريخ ثم للشمس ثم للزهرة وهكذا حتى يصيب كل واحدٍ منها يومٌ من

ايام الاسبوع فيكون القسم الاول من يوم السبت في ولاية زحل والاخير في ولاية المرّيخ ثم يبدأ الاحد فيكون في ولاية الشمس وهلمّ جرًّا

اما اخذ الطالع فيكون باعتبار السيارات والبروج جميعاً وهو انما يُبنى على الاشكال والمراد بها نسبة مواقع بعض السيارات الى بعض عند مولدٍ او سفر او غزو او غير ذلك . وعرّف كبلر الشكل بانهُ الزاوية الحادثة بين شعاعين منبعثين من سيارين الى الارض والاشكال ذوات التأثير عندهم خمسة احدها الاقتران وزاويتهُ ٠° وهذه علامتهُ ☌ ثم الاستقبال وزاويتهُ ١٨٠° وهذه علامتهُ ☍ ثم التثليث وزاويتهُ ١٢٠° وهذه علامتـهُ △ ثم التربيع وزاويتهُ ٩٠° وهذه علامتـهُ □ ثم التسديس وزاويتهُ ٦٠° وهذه علامتهُ ✶ . وهذه الاشكال منها ما هو سعد وهو التثليث والتسديس ومنها ما هو نحس وهو التربيع والاستقبال ومنها لا ولا وهو الاقتران . وهذه صورة مجموع الاشكال وعلاماتها نقلاً عن رسمٍ لهم قديم



ولضبط تعيين الاشكال يقسمون السمآء ظاهرها وخفيها الى اثني عشر قسماً متساوية ترسمها دائرتا الافق والزوال واربع دوائر اخر تمرّ كلها

بنقطتي الشمال والجنوب وتقاطع خط المعدّل في اربع نقط ثنتان منها على ٣٠ْ من جانبي خط الزوال والاخريان على ٦٠ْ ويسمون ما بين هذه الدوائر من المسافات المذكورة بيوت الفلك الاثني عشر والدوائر التي ترسمها دوائر الوضع . وهذه الدوائر عندهم ثابتة لا تنتقل بحيث ان كل جرم من الاجرام العلوية يقطع في دورانهِ اليومي كل واحدٍ من البيوت المذكورة . فالبيت الاول من خط الافق الشرقي الى اول دائرةٍ من دوائر الوضع تليهِ غرباً والثاني من هذه الى التي تليها وهلمّ جرًّا الى البيت السابع وهو يكون من خطّ الافق الغربيّ الى الدائرة التي تليهِ تحت الافق وهكذا . ويؤخذ الطالع من ابتدآء البيت الاول او من نقطة دائرة البروج التي تطلع وقت الرصد. وكل واحدٍ من البيوت يختصّ بحكمٍ من الاحكام فالبيت الاول بيت الحياة والثاني بيت الغنى والثالث بيت الاخوة والرابع بيت الابوين والخامس بيت البنين والسادس بيت الصحة والسابع بيت الزواج والثامن بيت الوفاة والتاسع بيت التديُّن والعاشر بيت المنصب والحادي عشر بيت الاصدقاء والثاني عشر بيت الاعداء . ولكل واحدٍ من هذه البيوت جرمٌ يتسلط عليهِ وهي تتفاوت في قوّة التأثير فاعظمها قوّةً الاول ويليهِ العاشر فاذا اجتمع كوكبان متكافئان في القوّة فما كان منهما في بيتٍ اقوى كان حكمهُ الغالب

واما تأثير السيّارات في اصحاب الطوالع فمن وُلد والطالع لزحل كان عرضةً للمناحس او للمشتري كان من ذوي الشهرة والمكانة او للمرّيخ كان حربيًّا او لعطارد فمن ارباب الفنون او للزهرة فمن السعداء

وفصّل بعضهم قال من وُلد والطالع للمشتري كان رئيس دين او وزيرًا او شريفاً او قاضياً او فيلسوفاً او حكيماً او تاجرًا او صرّافاً . او كان الطالع للمرّيخ جآء حربياً او مفسدًا او سفاحاً او طبيباً (كذا) او حلاّقاً او جزّارًا او صوّاغاً او طبّاخاً او خبّازًا اوكل ذي صناعةٍ تعالجَ بالنار . اوكان الطالع للزهرة كان من مواليدهِ الملكات والغادات والصيادلة والخياطون والجوهريون والبزّازون (تجار الانسجة) ومعاقرو الخمر واللاعبون بالنرد (الطاولة) وقطّاع السبل . او لعطارد فاللاهوتيون والفلاسفة والمنجمون والمهندسون والحُسّاب والمؤلفون باللاتينيـة (كذا) والمصورون والصنّاع اصحاب الاعمال الدقيقة من رجال ونسآء . اما اصحاب زحل فيأتون فظاظاً قساة القلوب معاندين وقحين متطوحين ظلاّماً غشاشين نَهِمين قَرِمين سكّيرين مشاغبين غدّارين اشدّآء متعجرفين عيونهم دموية وشعورهم حمرآء يباشرون من الصنائع كل ما فيهِ نارٌ وحديدٌ محميً . انتهى

على ان هذا الفنّ مهما يكن فيهِ من الخرافات والترّهات فقد نشأ عنهُ عدّة فوائد في علم الهيئة اجلّها تعيين مواقع بعض النجوم ومطالعها مما تُوصّل بهِ الى معرفة حركات بعض الثوابت بالمقابلة بين مواقعها المنصوص عليهـا في ازياج المتقدمين ومواقعها في الازمنة المتاخرة والاستدلال على حركة الشمس وانتقالها بين النجوم بتغير ما بينها من الابعاد والتنبّه الى مبادرة الاعتدالين بتغيرُّ مطالعها الى غير ذلك من الفوائد التي لا نطيل باستقصآئها فكان مثل اولئك القوم في تعيين الطالع للبحث عن المغيَّبات مثل اهل الكيميآء في البحث عن الحجر الكريم لاحالة بعض المعادن الى بعض فانهم وُفقوا في

ذلك الى معرفة كثيرٍ من الاسرار الكيماوية التي انتفع بهـا المتأخرون مما سنفرد للكلام فيهِ فصلاً مخصوصاً ان شآء الله

الطاعون والتبغ[١]

قد قلقت اوربا في هذه الايام لما وقع فيها من حوادث الطاعون وخافت ان يكون من فعلهِ فيها مثل ما مرّ بهـا من فتكهِ الهائل في الزمن السالف . وذلك ان عاملاً في المختبرَ المخصوص بجراثيم هذا الدآء في مدينة وينّا مرض وتوفي في اعراض تشبه اعراض هذا المرض الخبيث وبعد تشريح الجثة ظهرت لهم جراثيمهُ فيها وفي الغد ظهر مثل تلك الاعراض في ممرّضةٍ كانت تخدمهُ وفي اليوم الثالث اصيب الدكتور مولر الذي كان يعالجهُ بالاعراض نفسها

(١) التبغ لفظة دخيلة قيل هي من الهندية واصلها تاباكوس وقيل هي تعريب تاباغو وهو اسم الجزيرة التي وجدهُ الاسبانيول فيها اولاً فسموهُ باسمها والمشهور في ضبطها اسكان البآء مع فتح التآء او كسرها والوجه الفتح فيهما كما لا يخفى الا ان استعمال هذا اللفظ قليل ولا سيما في هذه البلاد فانهم يسمونهُ بالدخان وهو الاسم الذي أُطلق عليهِ اول ما عُرف في بلاد العرب ومنهُ قول بعضهم مؤرخاً

سألوني عن الدخان وقالوا   هل لهُ في كتابنـا ايمآء
قلت ما فرّط الكتاب بشيءٍ   ثم ارّختُ يوم تأتي السمآء

يريد يوم تأتي السمآء بدخان (الآية) فاكتفى منها بما ذكرهُ وجُملَةُ ٩٩٩ . وجآء ذكرهُ في ريحانة الالبآء لشهاب الدين الخفاجي في ترجمة السيد محمد بن برهان قال وكان يوماً بمنزلي مع الاخوان فارادوا الجري على العادة في الدخان فابى ذلك لانهُ يراهُ من منكرات الزمان فقلت لهُ بديهاً

وقد وقفنا في احدى المجلات العلمية الفرنسوية على مقالةٍ في هذا المرض لاحد حذاق الاطبآء ذكر في جملتها ما نعرّبهُ في هذا الموضع تحصيلاً قال

ان طبيباً هولندياً من اهل القرن السابع عشر يقال لهُ اسبرَنْد شهد الوبآء الذي حدث في نيماغ من ديمربروك سنة ١٦٣٦ و ١٦٣٧ وخالط المصابين بهِ واصيب بهِ غير مرةٍ ونجا وكان الحرز الوحيد الذي اتخذهُ للتحصن منهُ شرب الدخان وقد قصّ هذا الطبيب عن نفسهِ ما كان يفعلهُ ايام ذلك الوبآء قال

كنت كل يومٍ عند الساعة العاشرة من الصباح اشرب قصبةً من التبغ وبعد الغدآء اشرب قصبتين او ثلاثاً وكذلك بعد العشآء واذا اتفق لي شربت في سائر النهار ايضاً نحو هذا المقدار . وفيما خلا ذلك كنت اذا شعرت باقلّ انقباض من كراهة رائحة المرضى او المنازل التي فيها اصابة بهذا

فديتك جُد باذنٍ للندامى ليأْتوا بالدخان بلا توانِ
تريد مهذَّباً لا عيب فيهِ وهل عودٌ يفوح بلا دخانِ

فقال بديهاً واجاد

اذا شُرِب الدخان فلا تلمني على لومي لابنآء الزمانِ
من الاخوان اهوى طيب خلقٍ كمثل المسك فاح بلا دخانِ

اما استعمال الشرب لامتصاص دخانهِ فمع كونهِ غريباً في بادي الرأْي ليس بالبعيد عن الصلة اللغوية وقد تكلموا بهِ في النظم والنثر كما رأيت وربما استعملوا في معناهُ التدخين ايضاً وقد اجتمعا في قول صلاح الدين الكوراني الحلبي

لعمرك لم اشرب دخاناً لاجل ان تُسَرَّ بهِ نفسٌ تدانى خروجها
ولكن زنابير الهموم لسعنني فدخنتُ حتى يستبين خروجها

المرض اترك كل شغلٍ لي مهما كان مهماً وفي ايّ ساعةٍ كنت من النهار فاشرب قصبتين او ثلاثاً لاني ايقنت ان هذا الصنف من النبات افضل واقٍ من الوبآء بشرط ان يكون من جيد التبغ وناضجهِ ولذلك فاني بعد اعتمادي عليهِ لم اعد اتخذ شيئاً من الاطياب ولا من كل ما يوضع في الفم في مثل هذه الحال. وقد استهلكت في مدة الوبآء مقداراً عظيماً من هذا النبات الفاخر ولكني بعد انقضآء تلك المدة اقلعت عن استعمالهِ مخافة ان اعتادهُ فأُفرط فيهِ كما يفعلهُ كثيرون اليوم

واني بينا ذهبت يوماً لعيادة مصابٍ بالمرض يقال لهُ استرالتن لم اكد ادخل غرفتهُ حتى اوشكت ان اختنق لخبث الرائحة التي كانت تنبعث منهُ وشعرت لوقتي اني قد أُصبت بالعدوى فقصّرت عيادتي ما استطعت ثم خرجت من ذلك المنزل وانا شاعرٌ بدُوار وغثيان وكربٍ شديد وانقباضٍ في القلب مما لم اشكّ معهُ اني قد أُصبت بسمّ الوبآء. فانقلبت الى منزلي وشربت ست او سبع قصبات من التبغ الفاخر فلم تلبث تلك الاعراض ان زالت عني بجملتها ووجدت في نفسي من الرَوح والعافية ما لم اتوقف معهُ عن معاودة مرضاي. وقد اصابني مثل هذه الاعراض ثلاث او اربع مرات في المدة التي عالجت فيها المصابين في نيماغ وكنت كل مرةٍ اتداوى بالعلاج نفسهِ. انتهى

قال الكاتب ومن المعلوم ان هذا الوبآء قد تقلص ظلهُ عن اوربا من عدة قرون بعد ان اجتاحها مدةً تزيد على الف سنة واذا تفقدت حوادثهُ بعدها وجدت ان وطأتهُ كانت تخفّ تبعاً لزيادة ستعمال التبغ وزيادة انتشارهِ

ولا سيما حيث كان يُستعمَل شرباً فان هذا الصنف من النبات دخل اوربا سنة ١٥٤٨ حين أُهدي الى شرلكان وفي سنة ١٦٢٤ ابتدأت زراعتهُ تمّ في فرنسا لشيوع استعماله بين جميع الطبقات وبعد ذلك اخذ ينتشر في مملكةٍ مملكةٍ حتى صار يُنفَق منهُ مقادير لا تُحصَى وأُهملت عادة السعوط بتكاثر عادة الشرب فانتشرت سحائب دخانهِ المشحون بالنيكوتين في هوآء اوربا عامةً

قال ولعلّ قائلاً يقول فما بال هذا الوبآء لم ينقطع من آسيا مع كثرة استعمالهِ فيها وكيف ظهر حديثاً في العجم وهو اليوم في الهند الانكليزية . والجواب ان لذلك اسباباً منها ان القوانين الصحية في آسيا قاصرةٌ جدًّا بالقياس الى ما هي عليهِ في اوروبا ومنها ان المستهلك من التبغ في البلاد الآسوية اقل جدًّا مما هو عليهِ في الممالك الاوربية ومنها وهو الاهمّ ان صنف التبغ المشروب عند هؤلآء اذا فحصنا تركيبهُ وجدنا العنصر الفعّال فيهِ اقلّ مما في دخاننا بثلاثة او اربعة اضعاف . انتهى بتصرف والله اعلم

قولٌ جديد
في تكوُّن الجبال وانحلالها

اختلفت العلمآء في نشوء الجبال على اقوالٍ شتى نورد منها في هذا الفصل آخر ما انتهى اليهِ البحث وهو القول الذي اجمع عليهِ اكثر المحققين في هذه الايام

وقبل الخوض في ذلك لا بد ان ننبه الى أن الارض كانت في اول

امرها قطعةً من السديم المشتعل تدور على نفسها حول الشمس وبانبعاث الحرارة منها تكاثفت اجزآءه منها وتألفت بشكل نواةٍ مركزية ثم اخذتِ تلك النواة تجذب اليها سائر الاجزآء المتكاثفة حولها الى ان اجتمعت كلها كتلةً واحدة وتناقصت الحرارة المنبعثة عنها وحينئذٍ اخذت الابخرة المآئية المتطايرة منها تنعقد سحاباً ثم تنزل امطارًا وسيولاً فاذا لاقت سطحها ردّتها الحرارة بخارًا ثم سقط البخار مطرًا الى ان برد ظاهر تلك النواة فاصبح قشرةً صلبة . قالوا واستمرّ باطنها يتقلص ويجتمع بانبعاث الحرارة منهُ الى ان حدث فراغٌ بين القشرة وما تحتها من الموادّ كما يحدث لمن ضمر جسمهُ بعد السمن وحينئذٍ تجعدت تلك القشرة فكان بعضها غائرًا وهو الاودية والقيعان ولبث البعض الآخر شاخصاً وهو الجبال

وعليهِ فتكون سلاسل الجبال بمنزلة غضونٍ مستطيلة نشأت في القشرة الارضية عند ضمورها وتتابع تكوُّن تلك السلاسل شيئاً فشيئاً من ناحيتي القطبين الى المعدَّل. الا انها بتوالي الامطار والسيول وسائر الفواعل الطبيعية اخذ ينهار منها الشيء بعد الشيء حتى تبدلت هيئتها الاصلية ولم يبقَ من اكثرها الا قممٌ شاخصة هي الجبال المعروفة اليوم وان هي على الحقيقة الا اطلالٌ من بقايا تلك السلاسل

لا جرم اننا اذا حاولنا اليوم الاستدلال على ما كانت عليهِ الارض في اعصرها الاولى لم نجد في سطحها من الهيئة التي كوّنت عليها الا آثارًا عافية وذلك اننا كيفما انقلبنا لا نرى الا مجاري انهار وكثبان رمل واراضي مؤلفة من الطفال والابارق وغيرها مما احدثتهُ المياه وليس من اصل الخلق في

شيء . وعلى الجملة فانك ترى تلك الجبال منذ كانت لم تزل عُرضةً للسيول تجتاحها من كل جانب وهي طوع فعل المياه تبدّل هيئتها كيف شآءت على الدوام حتى ان اضعف الاجسام العضويّة واكثرها هشاشةً كانت اثبت على مقاومة الطبيعة من الجبال انفسها . وحسبك ان النمل الذي وُجد منذ الطور الثاني ويمكن ان يُردّ عهدهُ الى الزمن الذي شخصت فيهِ جبال الألب لا تزال بقاياهُ مائلةً لطبقاتٍ ثخينة من ارض كوراسيا بحيث تُرى الصخور هناك سودآء لكثرتهِ فيها وهو باقٍ الى يومنا هذا بقوائمهِ وقرونهِ الدقيقة . ومما يجدر ذكرهُ هنا ان علمآء الحشرات يعدّون اليوم في اوربا نحو خمسين صنفاً من النمل ولكن المسيو هير من زوريخ والمسيو ماير من وينّا وجدا من متحجراتهِ في نواحي اونجان ورادوبوى فقط ما يزيد على مئة صنف

اما سلاسل الجبال الحاليّة فاكثرهم على انها حديثة التكوُّن اي انها حدثت بسبب طارئ وليست من النشأة الاولى وانما ثبتت على هيئتها لانهُ لم يأتِ عليها من الزمن ما يكفي لتفتيتها . وفي رأي بعضهم انهُ لا يمتنع ان تكون من السلاسل التي حدثت اولاً غير انها بعد ما توالت عليها جوائح الطبيعة حتى تبسطت وعادت سهولاً استمرّ عليها فعل المآء فجرف ما بينها من الاراضي اللينة وبقيت الصلبة شاخصةً حتى استعادت هيئتها الاولى فكانت كما قال المسيو لبّاران جبالاً محشورةً وفي هذا القول الاخير من التعسف ما لا يخفى والله اعلم

اخذ التماثيل عن الاحياء

لا يخفى ان عمل التماثيل البشرية قديم جدًّا كانت تمثَّل بهِ هيئات الملوك والعظمآء ومشاهير الناس حرصاً على بقآء صُوَرهم بعد ذهاب اشخاصهم وكانت في اول الامر تؤخذ بالنظر والقياس كما تؤخذ الصُوَر المرسومة على الالواح الا ان المشابهة بين التمثال والممثَّل كانت تتوقف على مهارة الصانع وكثيرًا ما كان يفوتهُ من الملامح ما يضيع بهِ شيءٌ من الهيئة . فصاروا اذا ارادوا اخذ تمثال ميتٍ يطبعون قالباً على وجه الميت نفسهِ يتخذونهُ من الجبس والجير والرمل ويتركونهُ حتى يجفَّ ثم ينزعونهُ ويفرغون فيهِ المادّة التي يراد جعل التمثال منها وبعد ذلك يصحح بالنحت حتى تتمّ صنعتهُ . الا ان هذا ايضاً لم يزل فيهِ بعض النقص لتغيُّر بعض السحنة عقيب الموت بحيث لا تنطبق الهيئة على ما كانت عليهِ في حال الحياة ولذلك ارتأوا ان يتخذوا تلك القوالب عن وجه الشخص في حياتهِ لكن تعذر عليهم ابقآء التنفس مدة عمل القالب وجفافهِ لما يلزم فيهِ من تغطية الوجه كلهِ وسدّ الفم والانف وبعد تكرار المزاولة والامتحان تسنى لهم الامر فتمكنوا من اخذ قالبٍ عن الحيّ مع ابقآء النَفَس حرًّا مدة العمل . واول من توصل الى ذلك نقاشٌ من الحذاق يقال لهُ هري همس وطريقتهُ في ذلك ان يؤتى بالشخص المراد تمثيلهُ فيُلقى على ظهرهِ ويُدخل في انفهِ انبوبان أجوفان ويُحشى ما حولهما بالقطن لمنع دخول عجينة القالب في الانف فيبقى مجرى النفس مفتوحاً ثم يُلفّ شعر رأسهِ بمنديل ويطلى شعر وجههِ بمادّة لزجة حتى

يصير كتلةً واحدة فلا تتخلله اجزآء العجينة ويتعذر تخليصهُ منها وبعد الفراغ من ذلك كلهِ يلبَّس وجههُ بكتلةٍ من خليطٍ مؤلف من الجبس والجير والشمع والرمل بحيث يتغطى الوجه كلهُ والأذنان حتى العنق . ومن خصائص هذا الخليط انهُ سريع الجفاف فلا يلبث الشخص الى ان يُفرَغ من العمل اكثر من ثماني او عشر دقائق ثم يُنزَع القالب عن وجههِ وقد جفّ تمام الجفاف فيكون معدًّا لافراغ مادّة التمثال . وبعد سكب تلك المادّة فيهِ واخراج التمثال لا يبقى الا ان يُصلَح فيهِ شيءٌ يسير لا يصعب على حذاقة الصانع كفتح العينين لانهما لا بدّ ان تكونا مغمضتين وتفريق الشعر بعد ان يكون كتلةً واحدة . وقد اقبل الناس على هذا الاختراع اقبالاً عجيباً لكثرة من يطلبون ذلك مع ما فيهِ من السهولة والسرعة حتى اصبح معمل النقاش المذكور كاحد معامل المصوّرين لا يكاد يخلو من جماعاتٍ يقصدونهُ لاخذ قوالبهم

مُتَفَرِّقَاتٌ

معرض الاطفال — بلغ من عناية الغربيين واهتمامهم بتعزيز العمران وتوفير سعادة الانسان ان أُقيم في هذه السنة في بلاد الانكليز معرضٌ مخصوص لعرض الاطفال وفُرِضت فيهِ جوائز لمن امتاز منهم في نموّ البنية وحالة الصحة والنظافة . وهذا المعرض مباح لكل من شآء الدخول فيهِ

بشرط ان يكون الطفل المعروض مصحوباً بصكٍّ يُثبت تأريخ ولادتهِ وكونهُ ولدًا شرعياً. وقد تمّ العرض على ايدي جماعةٍ من ذوي الخبرة وبمشهد الوفٍ من النظّارة فقسموا الاطفال الى اربع فِرَق وهم الذين دون ثلاثة اشهر والذين دون ستة ودون تسعة والذين اتمّوا السنة وكان عرضهم بالوزن مع فحص بنيتهم وسائر احوالهم. فنال الجائزة اربعة منهم وهم واحدٌ من كل فئةٍ وقد بلغ وزن الاول وهو صاحب الفئة الاولى ١٨ ليبرة والثاني ٢٤ ليبرة والثالث ٢٩ ١/٢ والرابع ٢٨ ٣/٤ وكانت الجائزة لكل واحدٍ مقدارًا من النقود وحُلّة كاملة للطفل . وخلا ذلك فقد تكرّم قيّم المعرض بجوائز أُخر سماها جوائز الجبر وهي زوج جوارب يُعطى لمن لم يستحق جائزة الامتياز

اما الذي اقام هذا المعرض وانفق عليهِ فهو واحدٌ من اغنيآء الانكليز وفي عزمهِ ان يعيدهُ كل سنةٍ فلله درّهُ لقد كاد ينسينا كرم اغنيآئنا واهتمامهم بوطنهم اما كرم حكومتنا والتفاتها الى تحسين احوال الرعية فما لا ينسينا اياهُ شيء .....

الزواج في سيام ـ جرت العادة في هذه البلاد ان كل بنتٍ عنست في بيت ابيها (اي كبرت ولم تخطَب) اذا اظهرت رغبتها في الزواج قُيّد اسمها في سجلّ الحكومة واهتمّت الحكومة بان تجد لها زوجاً. واما الحيلة في تزويجها فهي ان المجرم منهم مهما كان نوع جريمتهِ لا يكتفون بسجنهِ او تغريمهِ ولكنهم يقسرونهُ على الزواج باحدى النسآء المذكورات القائمات تحت ظل الحكومة ويسمّونهنّ بالنسآء الرسميّات . وحينئذٍ فان

كان جرمهُ خفيفاً أُطلق لهُ ان يختار التي تعجبهُ منهنَّ والاّ أُكرِه ان يتزوّج المرأة التي تعيّنها لهُ الحكومة وهي تعتني بان لا تعين لهُ الا واحدة من اقبح الموجودات صورةً او اشدّهنَّ صخباً وسوء خلق. وعليهِ فلا يوجد في تلك البلاد امرأةٌ مهما كانت قبيحة المنظر الا وهي على يقين بان تجد لها زوجاً وهو صنيعٌ لا يخلو من الحكمة الا ان المتزوجين على هذه الصورة لا تكون حياتهم على الغالب الا في نكدٍ دائم

الجثث الرخامية - ذُكر في مجلة المجلاّت ان الدكتور ماريني اخترع طريقةً يحيل بها جثة الميت الى رخام فانهُ يعالجها علاجاً كيماويّاً تتصلّب بهِ فيصير اللحم رخاماً والعين زجاجاً فان صح هذا فهو افضل من تحنيط المصريين المتقدمين بما لا يقاس

سرعة الصوت - اعاد بعضهم في هذه الاثناء امتحان سرعة الصوت في الهوآء بواسطة اطلاق المدفع فتحقق لهُ بعد تعيين المسافة بالمدقِق (اي المكرومتر) مع تناول الصوت بالاذن وبواسطة جهازٍ كهربآئي انهُ يقطع في الثانية بين ٣٣٠٫٦ مترًا و٣٣٠٫٩ وذلك على درجة صفر من ميزان الحرارة وفي هوآء تامّ الركود. وهو اقلّ من التقدير الذي كان عليهِ علمآء الطبيعة بمقتضى الامتحان الاخير الذي أُجري سنة ١٨٢٢ وهو ٣٣٣ مترًا في مثل الحالة المذكورة

اسئلة واجوبتها

الاسكندرية ـ رأينا في مجلتكم الزاهرة (صفحة ٥٦) لفظ العربة بمعنى المركبة فهل هذه الكلمة عربية ومن اين اشتقاقها   احد القرآء

الجواب ـ اللفظة ليست بعربية واول من استعملها ابن بطوطة في رحلتهِ المشهورة في الكلام على بلاد الترك قال وهم يسمون العجلة عربة بعين مهملة ورآء وبآء موحدة مفتوحات وهي عجلات تكون للواحدة منهنَّ اربع بكرات كبار ومنها ما يجرّهُ فرسان ومنها ما يجرّهُ اكثر من ذلك وتجرّها البقر والجمال . اهـ . والعرب تسميها العَجَلة كما عبّر بهِ ابن بطوطة في تعريف العربة قال في القاموس هي الآلة التي يجرّها الثور . اهـ . ولم نجد من زاد في تعريفها على ذلك لكن الذي يظهر لنا انها كانت تُستعمَل عندهم لنقل الاثقال لا لركوب الناس بدليل اسهاب ابن بطوطة في وصف العربات التركية فانهُ عنون الفصل بقولهِ ذكر العجلات التي يسافَر عليها في هذه البلاد ثم قال بعد ما ذُكر ويُجعَل على العربة شبه قبّةٍ من قضبان خشبٍ مربوطٍ بعضها الى بعض بسيور جلد رقيق وهي خفيفة الحمل وتكسى باللبد او بالملف (ضرب من النسيج) ويكون فيها طِيقان مشبَّكة ويرى الذي بداخلها الناس ولا يرونهُ ويتقلب فيها كما يحبّ وينام ويأكل ويقرأ ويكتب وهو في حال سيرهِ . انتهى

برمّانا (لبنان) ـ نرجو ان تجيبونا على الاسئلة الآتية

(١) هل كلام الامام علي بن ابي طالب حجةٌ في اللغة ٠ (٢) هل يقال رهبنة الكرمليين مثلاً ام رهبانية الكرمليين وما الفرق بين اللفظتين ٠ (٣) هل لفظة نوتي بمعنى بحّار فصيحة

الياس الحويك

الجواب - اما كلام الامام عليّ فما ثبت انهُ لهُ فهو ولا شك من الحجج القاطعة في اللغة لانهُ عربيٌّ قحٌّ من قُرَيش ولكن كثيرًا من الكلام المنسوب اليهِ ليس لهُ وحينئذٍ فالشأن كل الشأن في اثبات ما هو من كلامهِ لا في صحة الاحتجاج بهِ وهذه احدى مفاسد اللغة كما صرحنا بهِ في غير هذا الموضع

واما الرهبنة والرهبانية فكلتاهما صحيحتان والفرق بينهما لفظيٌّ لا معنويٌّ وذلك ان الاولى مصدرٌ مأخوذ من الرُهبان جمع راهب على توهم اصالة النون كما قالوا من السلطان سلطنة ومن الدهقان دهقنة وهو بابٌ واسع في اللغة . والثانية مصدرٌ مأخوذ من طريق النسبة مع زيادة تآء المصدرية وهي تُروَى بالفتح على انها منسوبةٌ الى الرَهبة وهي من مصادر الراهب ايضاً وزيدت فيها الالف والنون على حدّ قولهم الروحانية مثلاً وتُروَى بالضمّ على انها منسوبة الى الرُهبان جمع راهب وانما نسبوا الى الجمع لان هذا اللفظ لما صار اسماً لطائفةٍ مخصوصة أُجري مجرى الاعلام فنُسِب اليهِ على حدّ الأعرابيّ والانصاريّ واشباههما

واما النوتيّ فيعدّ من الفصيح لانهُ ورد في كلام العرب قال في الصحاح النواتيّ الملاّحون في البحر وهو من كلام اهل الشأم واحدهم نوتيّ ٠ وقال في لسان العرب وفي حديث عليٍ كرّم الله وجههُ كانهُ قلعُ

داريّ عنجهُ نوتيَّهُ قال النوتيّ الملاَّح الذي يدبر السفينة في البحر وقد نات ينوت اذا تمايل من النعاس كأن النوتي يُميل السفينة من جانب الى جانب. ونقل في تاج العروس كلام الصحاح ثم قال وصرّح غيرهُ بانها معرَّبة. اه. لكنهُ لم يذكر اصلها المعرَّبة عنهُ وجآء بهامشهِ ما حاصلهُ انهُ ان صح انها معرَّبة فهي تعريب الناوي بالفارسية وهي بمعنى النوتي والله اعلم

القاهرة — يعتري افرادًا من الناس توقف في النطق عن بعض الكلمات حتى يضطرّ احدهم ان يكرر الحرف مرارًا ولا يتأَتى لهُ الانتقال الى ما يليهِ الا بعنفٍ فما سبب ذلك وعلاجهُ ع * د

الجواب — الاظهر ان ما تذكرونهُ وارد من قبيل الدادة وكثيرًا ما يكون سببهُ حدّة طبع الشخص بحيث يسبق فكرهُ لسانهُ حتى يعجز اللسان عن مجاراتهِ فيتلعثم عن الكلام . وافضل ما يعالج بهِ ان كان راشدًا ان يأخذ نفسهُ بالتمهل في النطق وتمثيل ما يريد ان يقولهُ بالفكر قبل ان يلفظهُ باللسان فاذا امكنهُ الاستمرار على ذلك اياماً جرى لسانهُ شيئاً فشيئاً حتى يعتاد متابعة النطق بلا تكلف . وان كان صغيرًا فالافضل ان يتعهدهُ مربيهِ او معلمهُ بان ينطق بالتأني ويعاقبهُ على التسرع في اللفظ بحيث لا يدع ذلك يتمكن فيهِ ويصير عادةً يصعب قلعها

القاهرة — عندنا طفل عمرهُ عشرة اشهر وهو من يوم وُلد الى اليوم اصفر اللون فهل لكم ان تفيدونا عن سبب ذلك الاصفرار وهل يبقى على هذه الحالة حنا الياس العريان

الجواب ـ ان مثل ما ذكرتم لا يتأتى القطع بسببهِ الا بعد المعاينة والفحص عن اسبابهِ في الطفل وفي ابويهِ او في احدهما فانهُ قد يكون عن وبالةٍ اتصلت اليهِ عن طريق الام وهو جنين وقد يكون عن اختلال في الجهاز الصفراوي او عن غير ذلك من الاسباب فالافضل ان يُعرَض على احد مهرة الاطباء

القاهرة ـ رأيت رجلين بصرهما ضعيف غير ان احدهما لا يرى احرف الكتابة الا اذا ادناها من عينهِ كثيرًا والآخر الا اذا ابعدها بمقدار ذراع او نحوهِ فما الحكمة في ذلك　　احمد سعيد البغدادي

الجواب ـ اذا كان كلٌّ منهما يرى الكتابة واضحة بعد جعلها على المسافة التي اشرتم اليها فالبصر صحيح والضعف وارد من قبل شكل البلورية في العين بان تكون في الاول شديدة التحدب حتى صار صاحبها احسر اي قصير النظر والآخر بعكسهِ ويُصلَح بصرهما بان يستعمل الاول الزجاجات المقعّرة والثاني الزجاجات المحدّبة

بيروت ـ هل لكم ان ترشدونا الى طريقة لتثبيت الصور المرسومة بالفحم　　مستفيد

الجواب ـ اعتاد اهل هذا الفن ان يستعملوا لذلك المزيج الآتي وهو ١٥ غراماً من صمغ اللك و٥ من صمغ الكوبال تحلّ في ٣٠٠ غرام من الكحل (السبيرتو) من غير نار ثم يصفّى المزيج ٠ وعند ارادة الاستعمال

يؤخذ بمضخةٍ ويُرَشّ رشاً دقيقاً على وجه الصورة مع تركهِ بين المرّة والمرّة حتى يجفّ

ويُستعمَل لذلك ايضاً اللبن الحليب ممزوجاً بضعفيهِ من المآء يُجعَل في طبقٍ واسعٍ وتُغمَس فيهِ الصورة بان يُدخَل احد طرفيها تحت السائل وتُسحب شيئاً فشيئاً الى ان تمرّ فيهِ بكاملها ثم تُخرَج من الجانب الآخر وتُمسَك من احدى زواياها عموديةً حتى يترشح عنها ما زاد عن المقدار وبعد ان تجف تُغمَس ثانيةً في مغطس من المآء والشب لمنع الهوام ان تقربها

آثار ادبيّة

الموسوعات – هو اسم مجلةٍ عمومية تصدر مرتين في الشهر يحرّرها لجنة من افاضل الكتاب ويديرها حضرة الاديب احمد افندي حافظ عوض وقيمة اشتراكها السنوي خمسون قرشاً مصرياً في القطر و١٥ فرنكاً في الخارج . وقد اطلعنا على الجزء الاول منها فوجدناهُ مشتملاً على نُبَذٍ تاريخية وفوائد علمية وادبية وفي آخرهِ قسمٌ من رواية تسمى رواية لادياس تأليف حضرة الفاضل احمد بك شوقي الشاعر المشهور . فنثني على اصحاب هذه المجلة ثنآءً طيباً ونحضّ جمهور المتأدبين على اقتباس فوائدها

رواية لايس – أُهديت لنا نسخةٌ من رواية بهذا الاسم وهي رواية

تأريخية معرَّبة بقلم حضرة الاديب يوسف افندي الطوّا تتضمن ذكر حوادث يونانية قديمة من عهد القرن الخامس قبل الميلاد يتخللها فوائد شتى من اقوال فلاسفة اليونان في انواع العلوم والفنون والفضائل الاجتماعية واشياء من عقائد اليونان الاولين وعوائدهم وغير ذلك وكلها مفرغة في قالبٍ فكاهيّ يرتاح اليهِ المطالع فنحث الادبآء على مطالعتها وهي تباع في المكتبة الشرقية لصاحبها ابرهيم افندي فارس

كتاب الكنوز الذهبية في الزراعة العملية المصرية ـ وقفنا على نسخةٍ من هذا الكتاب تأليف حضرة الفاضل اللوذعيّ السيّدافندي عزمي المعاون في الدائرة السنية فألفيناهُ كتاباً حافلاً بالفوائد الزراعية العلمية والعملية مشتملاً على وصف الاراضي الصالحة للزراعة وغيرها وبيان طرق اصلاحها وما يتعلق بها من احكام الريّ والحراثة والتسميد وما يتبع ذلك من زراعة المزروعات باصنافها موزعةً على الفصول مع بيان الاراضي التي تلائم كلاًّ منها الى غير ذلك من متعلقات هذا الشأن . وهو الكتاب الذي طالما كان هذا القطر في حاجةٍ الى مثلهِ مما يُتناول العمل فيهِ عن علم وخبر لا عن تقليدٍ ومجازفة فما احراهُ ان يُتخذ دستوراً يُجرَى بمقتضاهُ في معالجة الارض واستخراج ما أُودعتهُ من الكنوز الثمينة . فنثني على مؤلفهِ الفاضل ونرجو لمؤلَّفهِ هذا ان يصادف ما هو اهلٌ لهُ من الاقبال مما يرجع على القطر بالنفع الجزيل وعليهِ بالاجر الوافي والثنآء الجميل

فكاهات

رواية

العدوّ الحبيب (١)

لما كانت سنة ١٨٧٢ انتشر على الالسنة في باريز وضواحيها خبر جمعية سرّية قد جعلت دأبها الفتك والاغتيال وركوب الفظائع والمنكرات حتى في داخل المنازل ومعاطف الشوارع والسكك بحيث لم يكد يمرّ اسبوع الا يُرى لها آثارٌ من الفتك يتناقل الناس انباءها المخيفة ولا تُعلَم اشخاص الفاعلين الى ان هلعت لها القلوب واضطربت الخواطر وصار الرجل لا يأمن على نفسهِ واهلهِ وهو متحصن في داخل ابوابهِ وسعت الحكومة في طلبها وبثت العيون والارصاد في كل سبيل فلم تظفر منها بطائل

وكان بين رجال الشِحنة (البوليس) لذلك العهد فتىً في الثامنة عشرة من سنيهِ يقال لهُ ادمون حادّ الذهن متوقد الفؤاد يكاد يلتهب فطنةً وذكآء وهو ابن رجل من وجهآء باريز توفي والدهُ بعد ان ذهبت ثروتهُ بحادثٍ من حوادث الدهر وهو لم يكد يتجاوز سن الحلم ولم يكن لهُ من يلجأ اليهِ بعد موت ابيهِ الا عمٌّ لهُ فاعرض عنهُ واغلق بابهُ في وجههِ على ما هو شأن اكثر الناس ممن يعرفون انسبآءهم اغنيآء وينكرونهم فقرآء فصرف آمالهُ عنهُ وجعل اتكالهُ على ما وهبهُ الله من الفطنة والاقدام والصبر على

(١) معربة عن الانكليزية بقلم نسيب افندي المشعلاني

مغالبة الدهر ولسان حالهِ ينشد قول الشاعر

وانما رجل الدنيــا وواحدها　　من لا يعوّل في الدنيا على رجلِ

وكان ادمون منذ صغرهِ مولعاً باخبار الشِحنة كثير الاعجاب بما يصدر عنهم من افعال الذكآء ودقّه الفكر في كشف غوامض الامور والتوصل الى الاسرار الخفية فأُشرب قلبهُ حبّ الانتظام في هذه الفئة وجعل هذا الميل يزداد فيهِ يوماً بعد يومٍ الى ان حملتهُ رغبتهُ على قصد رئيس الشِحنة فعرض عليهِ معرفة نفسهِ وسألهُ ان يقبلهُ في جملة رجالهِ . فاستغرب الرئيس منهُ هذا الطاب ولا سيما مع صغر سنهِ الا انهُ رأى فيــهِ من الذكآء والجرأة وعلوّ الهمة ما توسم منهُ انهُ سيكون لهُ شأنٌ محمود في هذه الخطّه فادخلهُ في جملتهِ وامتحنهُ في بعض المهمّات فاظهر عن نجابةٍ ودُربةٍ عظيمة وارتفعت منزلتهُ في عين رئيسهِ وعيون سائر رصفآئهِ بحيث انهُ لم يبلغ الثامنة عشرة من السن حتى صارت تستشيرهُ افراد الشحنة فيما يعرض لها من المشكلات وتنتفع برأيهِ

وفي ذلك الوقت كانت الجمعية المذكورة قد استفحل امرهــا وتفاقم شرها وعجزت ارباب الحكومة واعضآء الشحنة السرّية عن الوقوف على اثرها فارتأى رئيس الشحنة ان يعيّن لهذه المهمة اناساً مخصوصين من رجالهِ ينقطعون لمتابعتها ويتنسمون اخبارها من كل ريح وانتخب ادمون زعيماً لهذه الفرقة فحسر عن ساق الجد وشحذ عوامل ما أُودع فيهِ من الفطنة والبصيرة الثاقبة واخذ يتفقد المظانّ ويترصد الدلائل مدة سنتين كاملتين فلم يظفر من الوقوف على مطلوبهِ باثر

واتفق بعد ذلك ان دخل ذات يوم احدى الحدائق العمومية بقصد

الاستراحة فجلس الى ما ئدةٍ هناك وطلب كأساً من المرطّبات ثم غاص في لجةٍ من التأملات تنقلت بهِ من طورٍ الى طور الى ان امعن في عالم الخيال وتصوّر نفسهُ بعد موت والديهِ وحيدًا مهملاً يكافح الدهر بنفسهِ وليس لهُ من منجدٍ ولا معزّ فتنهّد من قلبٍ جريح وفاض صدرهُ ببعض كلماتٍ كان يناجي بها نفسهُ فقال ولمَ يعيش امثالي على وجه الارض واي املٍ لي في الحياة.. اني ارى كل شيء في الدنيا يقاومني فمن نصيري .. وهبني قبضت على ناصية السعادة بيدي فمن يعرفني ويُسَرّ لسروري .. واذا متّ في هذه الساعة فمن يبلّ ضريحي بعبرةٍ واحدة .. أجل انا في وطني ولكنني فيهِ غريب وهل اشقى ممن كان في وطنهِ غريباً ... وبينا هو يحدث نفسهُ بمثل ذلك اذ استوقفهُ عن الكلام حركةٌ بجانبهِ وصوتٌ كان على سمعهِ اعذب من خطرات النسيم بين عذبات الاشجار يقول لهُ امّا اذا كنت ممن لا يزدري القلوب الامينة فان ههنا شخصاً لا يسرّهُ الا ان يراك سعيدًا وكل ما يودّهُ ان يكلل رأسك بالغار لا ان يبلل ضريحك بالدموع . فكانت هذه الكلمات اشبه بطلسمٍ اعادهُ الى رشدهِ والتفت فاذا فتاةٌ في نضارة الشباب ممشوقة القوام بديعة المحيّا وقد زادتها تلك العواطف التي ابدتها لا دمون جمالاً واشراقاً فوقف اجلالاً لها وقدّم لها كرسياً فجلست بازآئهِ ثم اخذا يتجاذبان اطراف الحديث فقالت لهُ اني قد رأيت من ملامح وجهك وسمعت من كلماتك ما اعلمني انك مثلي لا حميم لك ولا انيس وانك في عالمٍ لا يشعر بوجودك ولا تشعر باحتياجهِ اليك وليس اثقل على الانسان من ان يعيش منقطعاً . واني فتاةٌ قدمت من اميركا الجنوبية مع والديَّ ثم

فقدتهما في هذه البلاد وتركا لي مبلغاً من المال اشتريت ببعضهِ بيتاً صغيرًا اسكنهُ واودعت الباقي عند احد الصيارف اتعيش بريعهِ وانا الى الآن وحيدةٌ في هذه الديار لا انيس لي ولا من اعتمد عليهِ في احوال تصرّفي ومعاشي اتجوّل من موضعٍ الى آخر وليس امامي ما انتظرهُ الا ان ألحق بوالديَّ واتخلّص من وحدة هذه الحياة . اما اسمي فايزابلاّ . فقال ادمون اما انا فاني مولودٌ في هذه المدينة واسمي ادمون وتاريخ حياتي كما ظهر لكِ من هيئتي وكلامي واظن ان الله قد رثى لعذابي فارسل اليَّ ملَكاً يعزّيني ويحبّب اليَّ الحياة ويمهّد لي سُبل السعادة ويشاطرني هناءها

وكانت نتيجة تلك الخلوة بين ادمون وايزابلاّ ان قلوبهما ارتبطت بوثاق الحب فدخلا الحديقة وأحدهما لا يعلم بالآخر وخرجا منها خطيبين كلٌّ منهما مستندٌ على صاحبهِ ولبث ادمون سائرًا مع ايزابلاّ حتى بلّغها منزلها ثم فارقها على موعد ان يزورها قريباً

ولما كثر تردد ادمون على ايزابلاّ كان يتبين لها منهُ المرّة بعد المرّة انهُ كثير الاهتمام مشتغل القلب بامورٍ ذات بال فسألتهُ في ذلك فاخبرها انهُ قد فُوّض اليهِ البحث عن الجمعية السرّية التي اشتهر امرها في باريز والقبض على من يستطيع من اعضائها . فقالت اني قد سمعت بهذه الجمعية واحبّ ان اقف على ما تطلع عليهِ من امرها ولا سيما ما يكون من نجاحك فيما فُوّض اليك من البحث عنها فارجو ان تعلمني بكل ما تتوصل اليهِ بذكائك . فلما كان بعد ايامٍ وافاها وهو متهلل الوجه وقصّ عليها انهُ قد وُفّق الى القبض على اثنين من اعضاء الجمعية يقال لاحدهما باولو وللآخر استفانو وانهما قد

ألقيا في السجن وهما تحت اشدّ اصناف العذاب ليقرّا عن بقية اصحابهما . قال وقد علمت ان زعيم هذه الجمعية فتاة من ذوات الدهآء والنكر تدبّر شؤونها وتصرّف اعضآءها كيف شآءت فلا تجد فيهم الا خدّاماً مطيعين فرعى الله ذلك اليوم الذي فيهِ امسك تلك الحية الخبيثة . وقد بلغني ايضاً ان لها قصرًا انيقاً مملوءًا بالاثاث الثمين والرياش الفاخر وفيهِ من الخدم والحشم ما لا يقلّ عن قصور الملوك فلا بدّ لي من قصد ذلك القصر واخراجها منهُ صاغرةً لتذوق ما تستحقهُ من انواع النكال

وكانت ايزابلاّ تسمع كلامهُ وهي معجبَةٌ ببسالتهِ وحذقهِ ولما نهض لينصرف قال لها اني هذه المرة ساطيل غيابي عنكِ ايتها الحبيبة اياماً لاني بعد ان ظفرت بذينك اللئيمين لا بدّ لي من ملازمتهما ومتابعة اقرارهما استكمالاً لما وُفقت اليهِ من الفوز العظيم فادعي لي بالفلاح حتى اراكِ قريباً . ثم ودّعها وسار وكلهُ آمال فكان يقضي معظم اوقاتهِ في مراقبة اسيريهِ واستدراجهما الى الاقرار طورًا بالمخادعة وتارةً بالعذاب ولكنهُ لم يحصل منهما على طائل . ولما يئس من اقرارهما بهذه الطريقة فصل احدهما عن الآخر ثم اخذ يراسلهما بطرقٍ عجيبة حتى علم انهُ باقٍ من اصحابهما اربعة اشخاص يسكنون برجاً قديماً بفرساي على ضفة السين وزعيمتهم في قصرها بباريز . فلما تحقق ذلك اخذ ستةً من الشرطة فركبوا قارباً وتوجهوا ناحية فرساي وهم متنكرون بهيئة اشرافٍ يطلبون الصيد ولما بلغوا المكان خرجوا الى البرّ ببنادقهم وادوات صيدهم وجعلوا يطوفون حول البرج وهم يتأملونهُ فلم يظهر لهم الا انهُ مهجورٌ لانهم لم يروا ما يدلّ على وجود ساكن . وفيما

هم كذلك اذ بصروا بحمامةٍ قد طارت من اعلى البرج فسدّد ادمون اليها بندقيتهُ واطلقها فسقطت الحمامة بين يديهِ ميتةً فاسرع اليها واذا في عنقها بطاقةٌ مكتوبٌ فيها « قد تم الاستعداد فهلمي في اول فرصة » فتحقق لهم انها رسالةٌ من الاربعة الى زعيمتهم يستقدمونها للفرار الى بلادٍ اخرى . وبينا هم واقفون كذلك يتأملون اذا بكوّةٍ قد فُتِحت من اعلى البرج وخرج منها طلقٌ ناريّ فصاح ادمون برجالهِ وهجموا على باب البرج فكسروهُ ولم يمضِ عليهم الا القليل حتى خرجوا بالاشخاص الاربعة مقيّدين اذلآء . ثم عاد ادمون الى البرج واعاد البحث فيهِ فوجد قفصاً فيهِ حمامتان أُخريان فاخذ احداهما وعمد الى بطاقةٍ فكتب فيها « ابقي في باريز حتى يقدم احدنا اليكِ واياكِ الخروج من البيت فان الخطر عظيم » ثم ناط البطاقة بعنق الحمامة وارسلها ونزل من هناكَ فركب القارب باسراهُ راجعاً ولما وصل الى باريز نقلهم في عرباتٍ مقفلة الى السجن فالقى كل واحدٍ منهم في غرفةٍ بعد ان كُبلوا بالحديد

ولما فرغ من امر هؤلآء سعى برجالهِ قاصدًا قصر زعيمتهم ولما بلغهُ قرع الباب وبعد هنيهةٍ فتحت لهُ خادمةٌ عجوز فسألها عن مولاتها فقالت لهُ انها ليست هناكَ قال بل انا اعلم انها هنا ولا بدّ لي من مواجهتها فقالت تأتي لمواجهتها في وقتٍ آخر فانها الآن في الخارج فقال اني آتٍ لاقبض عليها بامر الحكومة فلا بد لي اذن من تفتيش المنزل . ثم دفعها الى جانبٍ ودخل بجماعتهِ وشرع في البحث فلم يدع غرفةً ولا زاويةً الا فحصها فلم يجد شيئاً واخيرًا انتهى الى غرفةٍ مقفلة فعالجها ففُتحت فلما دخلها وقف مبهوتاً وصاح لقد

حبطت مساعيَّ ونجت من يدي فقالوا وكيف ذلك قال انها نجت بالموت واشار اليهم ان يتقدموا فرأوا جثة فتاةٍ هامدة وبجانبها زجاجةٌ مفتوحة فيها بقية من سائلٍ سمّيّ فتيقنوا انها جثة فريستهم . ولما هموا بالخروج سمع ادمون صوت انينٍ ضعيف كانهُ صادرٌ من اعماق القبر فذُعر لذلك ووقف مصغياً فاذا الصوت آتٍ من تحت اقدامهم فعلم بوجود حجرةٍ في الاسفل الا انهُ لا يُعلَم اين بابها فامر للحال بالمعاول وشرعوا في حفر ارض الغرفة الى ان بانت الحجرة السفلى فالقى ادمون بنفسهِ الى الاسفل واسرع بايقاد عودٍ من الكبريت فاذا فتاةٌ اخرى مطروحةٌ على الارض ولما جسها تبين لهُ ان فيها بقية حياةٍ فرفعها بين ذراعيهِ واصعدها من النقب الذي نزل منهُ فلما وصلت الى الهوآء النقيّ تنهدت وفتحت عينيها وهي لا تكاد تصدّق بالنجاة

ولما سكن روعها سألها ادمون عما اتى بها الى هناك فقالت اني خرجت في هذا الصباح لزيارة بعض انسبآئي فلقيتني في الطريق عجوزٌ شمطآء متردية بملابس سودآء وعلى كتفها كيس كبير . فلما رأيتها استغربت منظرها ورأتني اتفرّس فيها فدنت مني تسايرني وتلاطفني الى ان وصلنا الى امام هذا البيت وبينما هي تحدثني اخرجت من كيسها زجاجةً وباسرع من لمح البصر نفضت تلك الزجاجة في وجهي وفيها سائلٌ حادٌّ لا اعلم ما هو فدخل ذلك السائل في عينيَّ وفمي فلم اعد ابصر ولا اطيق الكلام ولم افق الا وانا في داخل هذه الدار وقد انقلبت تلك العجوز الى فتاةٍ يتطاير من عينيها الشرر . فاوثقت يديَّ ورجليَّ ثم سحبتني الى الغرفة التي كنت فيها وكانت هناك

فتاةٌ اخرى تصيح وتستغيث فانتهرتنا وقالت لا بدّ ان تموت احداكما فداءً عني وهي اقربكما شبهاً بي وتبقى الاخرى في هذا القبر الى ان يُسكتها الموت عن افشآء هذا السرّ . وبعد ما قالت ذلك اخذت تتفرّس فينا ولحسن الحظ اختارت رفيقتي فاخذتها واقفلت عليّ الباب فما كدت استقرّ هناك حتى اوشكت ان اختنق لحرارة المكان واحتباس الهوآء فيهِ وطفقت استجير ولا مجير الى ان غبت عن رشدي ولم ارَ نفسي الا بين ايديكم

فلما قصت عليهم ذلك علم ادمون ان الزعيمة لم تزل حيةً وانها هي نفس العجوز التي قابلتهُ على الباب وانما اماتت الفتاة لتوهم انها هي التي ماتت فيكفّ عنها الطالبون وتغتنم الفرصة لتسافر من باريز وتنجو بحياتها . فصمم على ان يأخذ عليها طرق الهرب وخرج من هناك فنبه لمراقبتها ارباب الضبط في محطات السكك الحديدية ثم عاد للبحث عنها في انحآء المدينة لعلهُ يظفر بمقرّها . ومضى عليهِ في ذلك نحو الاسبوعين ولم يتيسر لهُ زيارة خطيبتهِ ايزابلاّ وقد اشتدّ بهِ الشوق الى الاجتماع بها فسار اليها وجلسا يتشاكيان الوجد ويتطارحان احاديث الحب ثم قصّ عليها ما فعلهُ في تلك المدة وهي تُظهِر اعجابها بافعالهِ وتبتسم على ذكر تلك المكايد . ثم قالت لهُ اني لم افتر في هذه المدة عن البحث عن احوال هذه الجمعية وقد علمت كل ما فعلتَهُ قبل ان تذكرهُ لي وعلمت اشيآء اخر لم تعلمها انت . اما عدوّتك فانها لم تفارق باريز خطوةً واحدةً ولكنها انتقلت من منزلها الاول الى منزلٍ آخر هو في شارع سان جرمان وقد علمت انها

يئست من الحياة بعد ما بلغها القآء القبض على رجالها الستة ولها حزبٌ في ايطاليا يراسلونها كل يومٍ وقد اعلمتهم بما كان فجآءها الامر ان لا تبرح باريز ولو هلكت وان تحافظ على كتمان السرّ الذي اقسمت عليهِ واراقة دم كل من تعرّض لكشف امرها ولو كان اخاها . وهي الآن في منزلها المذكور لا تستطيع ان تفارقهُ ويمكنك ان تقبض عليها بكل سهولة صباح غد ولكن اذا فعلتَ فاعلم انني انا التي بلّغتك هذا المرام.
وكان ادمون يسمع وهو لا يعلم أفي يقظةٍ هو ام في منام ولم يدرِ كيف يشكر حبيبتهُ على هذه الغيرة العظيمة ولبث يحادثها الى ان اقبل الظلام ثم نهض لساعتهِ وانصرف من عندها وقضى تلك الليلة وهو يحسب ساعاتها اشهرًا

ولما كان صباح الغد اخذ جماعةً من رجالهِ وتوجه قاصدًا المنزل المذكور. ولما وقف ببابهِ استقبلهُ الحاجب فسألهُ عن مولاتهِ فقال لهُ انها في غرفتها واشار لهُ الى الغرفة فدخل باثنين من اشدّآء اصحابهِ وتقدم ادمون الى الباب ففتحهُ بلطفٍ الا انهُ لم تكد قدماهُ تطآن داخل الغرفة حتى جمد الدم في عروقهِ ووقف كمن أُصيب بصاعقة . فانهُ رأى خطيبتهُ ايزابلاً واقفةً في صدر الغرفة مستندةً على مائدةٍ كبيرة وعلى شفتيها ابتسامة اليأس ونار الانتقام تتقد في عينيها . فلما رأت ادمون رفعت مسدَّساً وصوَّبتهُ الى صدرهِ وصاحت بهِ قائلةً قف يا ادمون مكانك واعلم ان حركةً واحدة منك او من رفيقيك تذهب بحياتك لكن اصغِ لما اقول . انا عدوّتك وحبيبتك . انا زعيمة الجمعية التي انت ساعٍ للقبض عليها وخطيبتك التي

تروم الزواج بها . ادمون اني قد اقسمت يمين الاخلاص للجمعية فلا اخونها واقسم قلبي يمين الحب لك فلا يحنث بيمينهِ غير ان عهدي للجمعية أثبت واوجب وان يكن امرّ وانكى فانا لا بدّ لي من قتلك كما أُمرت ولكن قلبي يشفع فيك فلا اقتلك بيدي . ولما قالت هذا ألقت المسدَّس من يدها الى الارض فهجم عليها الشرطيان ولبث ادمون واقفاً كانهُ قطعةٌ من جماد وما كاد الشرطيان يتوسطان الغرفة حتى دفعت زرًّا في الحائط فانفتحت الارض تحت اقدامهما وسقطا في حفرةٍ قد أُوقدت فيها نارٌ عظيمة فذهبا فريسة اللهب . ولما رأت ان ادمون لا يزال حيًّا التقطت المسدَّس وافرغت عليهِ رصاصتين اصابتهُ احداهما في ذراعهِ وللحال احدقت بها افراد الشحنة من الخارج وقبل ان يمكنوها من الانتحار وثب احدهم اليها فامسكها ثم اوثقوها وقادوها الى دار الحكومة حيث أُلقيت مع جماعتها يقاسون الوان العذاب

اما ادمون فانهُ كوفئ على ما فعلهُ باكثر مما كان يتوقع ولا سيما بعد فقدهِ يدهُ فرُقّيت رتبتهُ وزيد في راتبهِ ووُهب لهُ كل ما كان في دار الزعيمة من مالٍ واثاث . وبعد بضعة اعوامٍ استقال من خدمتهِ واشترى لهُ منزلاً في احدى ضواحي باريز فاقام بهِ ليقضي غابر ايامهِ في دعةٍ بعيداً عن زخارف باريز وملاهيها وهو يعيد على ذكراهُ حادثة ايزابلا فترتعد فرائصهُ من مجرد ذكر الحبّ